

## من الآثار القبيحة للمعاصي (٢٥)

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد،،،

### التوبة تحدد العودة:

ولنا في معرض بيان هل يعود من عصى وتاب إلى درجته السابقة قبل المعصية، وهنا جاء حكم شيخ الإسلام ابن تيمية - رضي الله عنه - حيث قال: " التحقيق: أن من التائبين من يعود إلى أرفع من درجته، ومنهم من يعود إلى مثل درجته، ومنهم من لا يصل إلى درجته، ومنهم من يعود إلى درجته، يقول ابن القيم: وهذا بحسب قدر التوبة وكمالها، وما أحدثته المعصية للعبد من الذل والخضوع والإنابة، والحذر والخوف من الله، والبكاء من خشية الله، وقد تقوى على تحصيل كل هذه الأمور، حتى يعود التائب إلى أرفع من درجته، وبصير بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة، فهذا قد تكون الخطيئة في حقه رحمة، فإنها نفت عنه العجب، وخلصته من ثقته بنفسه وإذلاله بأعماله، ووضعت خد ضراعته وذلته وانكساره على عتبة باب سيده ومولاه، وعرفته قدره وأشهدته فقره وضرورته إلى حفظ سيده ومولاه له، وإلى عفو عنه ومغفرته له، وأخرجت من قلبه صولة الطاعة، وكسرت أنفه من أن يشمخ بها أو يتكبر بها، أو يرى نفسه بها خيراً من غيره، وأوقفته بين يدي ربه موقف الخاطئين المذنبين، ناكس الرأس بين يدي ربه، مستحيياً خائفاً منه وجلاً، محتقراً لطاعته، مستعظماً لمعصيته، عرف نفسه بالنقص والذم، وعرف ربه بالتفرد بالكمال والحمد والوفاء، فأى نعمة وصلت من الله إليه استكثرها على نفسه ورأى نفسه دونها ولم ير نفسه أهلاً لها، وأي نقمة أو بلية وصلت إليه رأى نفسه أهلاً لما هو أكبر منها، ورأى مولاه قد أحسن إليه إذ لم يعاقبه على قدر جرمه ولا شطره ولا أدنى جزء منه، فإن ما يستحقه من العقوبة لا تحمله الجبال الراسيات، فضلاً عن هذا العبد الضعيف العاجز.

(يتبع في العدد القادم.. الذنب وإن صغر قبيح)

من كتاب الجواب الكافي - لابن القيم